المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

سنة ثالثة لسانيات تطبيقية
مادة الفنولوجيا
أستاذ المادة: ع. ح. معزوز

المحاضرة1: إرهاصات الدرس الصوتي عند العرب

تمهيد:

لم يرد مصطلح الصوت بالمفهوم الحديث عند القدامى، بل لم يفر علماء العربية بين الصوت والحرف أو بين ما هو مادي محسوس وما هو معنوي، أو بين ما هو وحدة صوتية مجردة وبين ما هو وحدة صوتية منغمة. وعلى الرغم مما تميزت به دراسات الخليل وسيبويه وأتباعهما من وصف دقيق لمخارج الأصوات وصفاتها، فإنهم لم يميزوا بين الصوت والحرف باستثناء ابن جني.

ويتضح ذلك من خلال معظم تعاريفهما؛ يقول سيبويه: "**فالمجهور حرف أُشبع الاعتماد في موضعه ومنع من النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت** ". فمصطلح الصوت هنا أقرب إلى النَفَس وما يتعلّق بمحدثات الصوت منه إلى تلك الوحدة الذهنية المجردة التي حدّدها الغربيون المحدثون من خلال مصطلحات دقيقة.

1- تصنيف الأصوات عند القدامى:

وقد بيّن كلّ من الخليل وسيبويه أن حروف العربية تسعة وعشرون وهي أصول "**وتكون ستة وثلاثين حرفا بحروف هنّ فروع، وأصلها من التسعة والعشرين... وتكون ثلاثة وأربعين حرفا... والأخيرة لا تتبيّن إلا بالمشافهة".**

وقد نبني على هذا أن فكرة الصوت بحسبه وحدة صوتية مجردة قد وُجدت عند القدامى لكن مضمونها لم يتّضح، فلم يُفرق حينها بين الصوت والحرف بوصفه رمزا ثابتا.

ولقد اتّجه سيبويه وأصحابه عند النظر في استنباط الحروف من الأصوات اتجاها عكس ما يراه المحدثون؛ ففي دراسة الصوتيات يكون اتجاه البحث الحديث من الأصوات إلى الحروف إذ ينظّم الباحث ما لديه من أصوات جرت ملاحظتها ووصفها فيبوبها إلى مجموعات تسمى كل مجموعة منها حرفا وذلك كأن يجمع الأصوات المختلفة الدالة على النون مع اختلاف المخارج بين هذه الأصوات فيجعلها تحت عنوان واحد هو "حرف النون"، ولكن سيبويه وأصحابه حين تصدوا لتحليل الأصوات العربية كان بين أيديهم نظام صوتي كامل معروف ومشهور للغة العربية، وكانت الحروف التي يشتمل عليها هذا النظام قد جرى تطويعها للكتابة منذ زمن طويل، فكان لكل حرف رمز كتابي يدل عليه دون النظر إلى ما يندرج تحته من أصوات، فارتضوا هذا النظام الصوتي المشهور واتخذوه نقطة ابتداء في دراستهم للأصوات العربية.

2- ترتيب الأصوات في العربية:

ومما سبق نرى أن الأصوات العربية التي تحت كل حرف في النظام الصوتي للعربية عند القدامى لا تعدو أن تكون صفة لهذا الحرف كأن تكون إدغاما له أو إقلابا أو إخفاء أو إمالة....إلخ.

وعلى هذا رأى سيبويه وأصحابه أن أصول حروف العربية (يقصد الأصوات الرئيسية لحروفها) تبلغ في عددها تسعة وعشرين حرفا هي: (**ء، ا، هـ، ع، ح، غ، خ، ك، ق، ض، ج، ش، ي، ل، ر، ن، ط، د، ت، ص، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، ب، م، و**).

ثم يضيف إلى ذلك ستة فروع أصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرة (أي كثيرة الورود في كلام العرب) وتستحسن في قراءة القرآن، وهي:

- **النون الخفية:** ويصفها سيبويه بالخفيفة، وهي التي تكون قبل حروف الفم (ت، ث، ج، د، ذ، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ف، ق، ك). أما النون الخفيفة فهي أحد نونات التوكيد.
- **الهمزة الي بين بين:** وهي همزة متحركة تكون بعد ألف أو بعد حركة فتصير في النطق مجرد خفقة صدرية لا يصاحبها إقفال للأوتار الصوتية نحو (أأنت قلت للناس). فإذا كانت الهمزة مفتوحة مكسورا ما قبلها قلبت ياءً (إيتِ) أو مضموما ما قبلها قلبت واوًا (أومن).
- **الألف المائلة إمالة شديدة:** وهي الألف الجانحة نحو الياء، وهي التي يقرأ بها القرّاء مثل في قوله تعالى: "**والضحى والليل إذا سجى**" فيجعلون صوت الألف الأخيرة في (الضحى) و (سجى) كصوت الياء في نطق العامة في مصر لكلمة (بيت).
- **ألف التفخيم بلغة أهل الحجاز:** وهي ألف تستدير الشفتان قليلا عند نطقها نتيجة لحركة الفك الأسفل ويرتفع مؤخر اللسان قليلا فيصير الفم حجرة رنين في مجموعه صالحة لأن تنتج القيمة الصوتية المسماة التفخيم مثل كلمة (صلاة).
- **الشين التي كالجيم:** وهي الشين المجهورة التي تشبه صوت الجيم في اللهجة السورية فكان الناطقون بهذه الشين من العرب يجعلون نطق كلمة (أشدق) وكأنها أجدق.
- **الصاد التي كالزاي:** وهي صاد مجهورة مفخمة، كما في نطق كلمة (مصدر) حيث تنطق (مزدر).

ثم يضيف سيبويه إلى ذلك حروفا ثمانية أخرى غير مستحسنة ولا كثيرة في كلام من ترتضى عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر، وهي:

- **الكاف التي بين الجيم والشين:** وهو ما يصفه النحاة بالكشكشة كنطق العراقيين لكلمة (كيف).
- **الجيم التي كالكاف:** وهي الجيم القاهرية في نطق كلمة (رجل) (ragul).

- **الجيم التي كالشين:** وهي من أصوات الجيم التي لا ترد إلا في مواقع خاصة كما في كلمة (اجتمعوا) أي قبل تاء الافتعال فتنطق اشتمعوا.
- **الضاد الضعيفة:** فبعض العرب كانوا حين ينطقون كلمة تشتمل على صوت الثاء مثلوا بحرف مفخم مجهور يحدث في نطق الثاء شيء من عدوى التفخيم والجهر فتصير بذلك ضادا ضعيفة كما في (أثر).
- **الصاد التي كالسين:** فالصاد والسين تشتركان في المخرج والصفات كلّها عدا أن الصاد مفخمة في حين أن السين مرققة، فإذا أشبهت الصاد السين فإنها قد تخلت عن صفة التفخيم إلى الترقيق، كما لو نطقنا (صابر) سابر.
- **الطاء التي كالتاء:** وهي كما في الحالة السابقة فقد تصبح (طال) تال.
- **الظاء التي كالثاء:** والفرق بين الظاء والثاء يكون في الجهر والهمس والتفخيم والترقيق، فإذا أشبهت الظاء الثاء فسيكون معنى ذلك أنها إما فقدت الجهر أو التفخيم أو كلاهما معا, فتصير (ظالم) مثلا (ثالم).
- **الباء التي كالفاء:** وهي الباء الفارسية المقابلة لِـ (P) وهي مهموسة فكان العرب عند تعريبها يقلبونها (فاء) ومن ثمة أصبحت (برزده) (فرزدق).